**نظرية جبسون :**

تعد نظرية التعلم الادراكي التى قدمتها جيبسون في اواخر الستينات من القرن الماضي في كتابها مبادئ تعلم ونمو الادراك الدي نشر عام 1969 احدى العلامات البارزة في تاريخ علم النفس الارتقائي حيث تضمن هدا الكتاب وجهه نظر جديدة في الاجابة على سؤال قديم طرحه الباحثون والفلاسفة من حول كيف يدرك الطفل العالم من حوله ؟ أجابت جيبسون على هدا السؤال بأن نمو وارتقاء عملية الادراك عند الطفل لاتعكس فقط زيادة في عدد المدركات أو المعلومات التي يدركها الطفل كما يدهب الى دلك بياجيه مثلا وانما ترى جيبسون أن ادراك الطفل للمنبهات من حوله يتضمن كيفيه استخلاص العديد من المعلومات الواردة في هده المنبهات بحيث تبدو له اكثر وضوحا وتفصيلا عن دي قبل ... قمنا باختبار 36 طفلا رضيعا تتراوح اعمارهم بين 6،14 شهرا من خلال وضع كل طفل على المنضدة في وسط المدرج ، تنادي الام على الطفل من احد جوانب المدرج ومن اعلاه بصفه متتابعه لوحظ تحرك 27 طفلا في اتجاه الصوت مرة واحدة على الاقل ودفعهم للمنضدة وقيام ثلاثة بالحبو تجاه زجاج النافدة. قام الكثير منهم بالحبو بعيدا عن الام عند ندائها من الجانب بينما شرع الاخرون في البكاء لعدم استطاعتهم الوصول اليها دون اجتياز الفجوة . توضح التجربة ان معظم البشر يستطيعون تمييز العمق بمجرد نمو قدراتهم على الحبو . في محاولات المرتفعات يحاول الاطفال غالبا اجراء المحاولات المؤدية الى السقوط رغم سقوطهم في محاولات سابقة . وعادة ما يجد الزاحفون صعوبة اكبر في بداية المنحدرات ، واحيانا مايجدون طريقتهم لاعلى ثم ينحدرون لأسفل . وبعد محاولات يائسة طويلة ينتقل الأطفال الى المنحدر التالي المساوي في صعوبته للسابق . اما الدين يستطيعون المشي فعادة مايتبعون الاسلوب نفسه ، فيقومون بالبداية الايجابية على القدمين ثم يندفعون تجاه المرتفع الاصعب واحيانا ماتزداد القدرة على المثابرة ويصل الاطفال في النهاية الى القمة .

**حياتها :**

بدأت جيبسون حياتها العلمية في جامعة سميث بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تخرجت عام 1931 وحصلت علىى الماجستير من نفس الجامعة عام 1933 . انتقلت جيبسون بعد دلك الى جمعة بيل حيث حصلت على الدكتوراه عام 1938 وتتلمدت على يد كلارك هل أحد العلماء البارزين في علم نفس التعلم في دلك الوقت . مع دلك لم تجدب نظريات التعلم ومبادئ المنبه والاستجابة اهتمام جيبسون حيث تحول اهتمامها الى دراسة الاستعدادات الفطرية الآولية عند الحيوان والانسان . انتقلت جيبسون مع زوجها جيمس جيبسون للعمل كأستادة في جامعة كورنيل ، وتركزت بحوثهما طول فترة الخمسينات والستينات حول عمليات الادراك عند الاطفال الرضع كما اهتمت بدراسة ادراك العمق عند هؤلاء الاطفال ، كما احتلت دراسة عمليات القراءة عند الآطفال جانبا هاما من بحوثها . وكان كتابها عن مبادئ التعلم الادراكي والنمو الحاصل على جائزة كتاب القرن ، من اكثر الاعمال تأثيرا في مجال النمو . توفيت في عام 2002 عن عمر 92 سنة . حصلت جيبسون على جوائز عديدة على اعمالها منها الميدالية الدهبية وجائزة الانجاز العلمي من الجمعية النفسية الامريكية ، والميدالية علماء النفس التجريبين ، وميدالية العلوم وتم انتخابها عضوآ في الاكاديمية القومية للعلوم ، وأكاديمية العلوم والفنون الأمريكية .

**أهتمت جيبسون بسؤال لم يسبق الاهتمام بة من قبل الباحثين الآخرين ؟**

**كيف نتعلم أدراك العالم** ؟

وبالتأكيد فهدا دور أساس لعملية النمو ... وكانت اجابتها ان الأطفال يتعلمون استنتاج المعلومات التي تحدد الأشياء والأحداث والنمادج الموجودة في العالم والتي يمكنهم استخدامها في أنشطتهم اليومية أثناء تجوالهم وتحركهم هنا وهناك في بيئتهم .

ا**لاتجاة العام للنظرية :**

تهتم النظرية بالادراك بمفهومة الواسع . تسأل الباحثة اربعة اسئلة : ماالدي يدركة الأطفال ؟ كيف يكتسبون المعلومات ؟ ماهي الأفعال أو التفاعلات الحادثة ؟ ماهي النتائج المترتبة على المعرفة ؟ وتهتم الاجزاء التالية بخصائص النظرية التي توضح اسلوب تناول الباحثة لتلك الاسئلة ؟ والمنهج القائم على العلاقات البيئية ؟ وفكرة أن المعلومات المتعلقة بالادراك تتمثل في الاثارة الطبيعية الادراكية (الايجابية) للرؤية الانسانية ، ويخص الجزء الأخير لهدا الاتجاه استخدام الباحثة للطرق التجريبية الممثلة للبيئات الطبيعية . أن اجابة جيبسون على سؤالها الأول المتعلق بماهية الأشياء المدركة علينا أن ندرك مفهومها عن دور الاثارة بالنسبة للآدراك . ويعد وصفها للطفل الايجابي في اكتشافه للعالم المثير مشابهآ لرؤية بياجيه عن الأطفال . ينقسم الباحثون حول اسلوب تعارف الاطفال على العالم من خلال النشاط فالاطفال عند بياجيه يقومون ببناء المعرفه من خلال عمل نمادج "مصنفات" بناء على سلوكياتهم الحركية المتعلقة بالأشياء. وحيث ان الادراك ينتج عنه صور ثابتة فينبغي تصحيحه عن طريق المعرفه الاجرائية. وبالمثل فان باقي المناهج الادراكية والمعرفية تمثل الادراك بأنه عملية تكوين صورة غير معبرة،غريبة،متفرقة (مستقلة )، ومثال دلك : تصف مناهج معاجة المعلومات العمليات التي تضفي المعنى على المثير من خلال ربطها بالدكريات والمعارف المختزنة بالداكرة طويلة المدى . انها تشير الى التعمق في المعلومات المتاحة عن طريق عمل استنتاجات تتوقف على المعرفة الخاصة بالعالم .

وقد اهتم الباحثين بالأسئلة الأربعة التي طرحتها جبسون فقد تناولت وظيفة الأدراك في البيئات الطبيعية . يحتاج الناس لادراك الأشياء والمواقع المكانية كالارضيات او الاسطح والاحداث الزمنية من اجل التكيف مع العالم : التجوال حوله،اكتشاف مكوناته،واللعب بداخله، والبقاء فيه ، وتعد هده المثيرات وحدات علائقية معقدة كالأشياء والأحداث، وليست مشاعر بسيطة كالمرتبطة بالضوء او الصوت . ولدلك تركز النظرية "بخلاف معظم نظريات الادراك" على السلوك الطبيعي للشخص المدرك في بيئة معينة.

**طريقة دراسة جيبسون :**

رغم اتباع بحوث جبسون للاجراءات التجريبية التي تميز باقي مجالات علم نفس النمو الا أنها لا تقتصر على طريقة واحدة . انها تحاول ايجاد الدليل البيئي المدعم للمواقف التجريبية ولايعني دلك أن بحوثها تتضمن بالضرورة ملاحضة الانشطة الادراكية في بيئاتها الطبيعية ، انها تحاول " المحاكاة " من خلال التجريب ، والاثارة ، والانشطة والاهداف التي يحاول الطفل تحقيقيها في البيئة الطبيعية . يمكننا ان نرى الارتباط الوثيق بين النظرية والطرق المستخدمة من خلال المواد والاجراءات التي تختارها الباحثة لأداء التجارب . ان الاثارة متعددة الوسائل ( كالوجوه التي تتحرك أو تتصور أصواتآ والاشياء الملموسة ) والوسائل البيئية المدعمة للحركة ( كالآسطح الصلبة وغير الصلبة ) ، وفرص الحصول على التغدية العكسية من الأنشطة الاستكشافية توجد بوضوح في حياة الطفل اليومية وفي تجارب جيبسون المعملية . ومن الامثلة تجربة "العمق" نظم ووك مع جيبسون منحدرآ مرئي يمثل "المنحدر" في الواقع قامت الباحثة بتطبيق دلك بعد زيارتها ل ( جراند كانيون ) مع طفلها الصغير لتلاحظ قدرة الطفل على ادراك شكل المنحدر. يمثل المنحدر منضدة يعلوها زجاج ، حيث يتضح شطر المنضدة الآخر من خلال الزجاج. ادن فالجهاز المستخدم يمثل وصفآ لصور المنحدر. يميل الاطفال الى الزحف على الجانب الصلب للمنضدة ويرفضون المشي تجاة الزجاج المعلق . توضح هدة التجارب ادراك الاطفال للعمق عند الحافة مبكرآ في سن (6 أو 7 شهور) عند بداية سلوك "الحبو" توضح البحوث التي اجريت على معدل ضربات القلب ان الأطفال (حتى الرضع) يميزون الاسطح المنحدرة عن غيرها . أن المنحدر المرئي قد استعمل كثيرآ لدراسة ادراك العمق عند الكثير من السلالات الحية . حتى جبسون نفسها قد اصابتها الدهشة لترى عنزة مولودة حديثآ عندما وضعت على مرتفع صغيرآ ابتعدت عنة بينما التوآم الآخر للعنزة وقفت جامدة بدون حراك على سطح المرتفع .

وفي أحدى تجارب جيبسون 1989 وضع مجموعة من الأطفال في مكان مرتفع على الارض بأربعة اقدام وكانت الأمهات الباسمات تقنن على بعد ستة اقدام عند نهاية الطريق . كان هدة الطريق المرتفع دا ارضية صلبة تتيح عملية الحبو او المشي على الجانب الآخر كان الطريق مبتلآ بالماء لا يسمح بالمشي لكنة يسمح بالحبو فقط . نظر الاطفال الدين يستطيعون المشي الى الماء والى السطح الصلب قبل اتخاد القرار بالخوض في الماء او السير. اما الدين لايستطيعون المشي فلم يميزوا بين الحالتين فقد خاضوا كلا الطريقين، ومن هنا نجد أنه يوجد توافق بين ما تقدمه البيئة وأفعال ،وأهداف، وقدرات الطفل .

.

**خصائص النظرية**

1. **الانسان كائن نشط حي وايجابي :**

تعرف جيبسون الانسان سواء كان طفلا ام راشدا بأنه كائن حي يسعى دائما لاكتشاف الاشياء من حوله ودلك من خلال انتباهه لها واستخلاص العديد من الخصائص والابعاد المميزة لهده الاشياء بحيث يمكن ادراكها والتمييز بينها . وترى جيبسون ان احد الاختلافات بين الاطفال الرضع والاطفال الاكبر سنا تكمن في نوع المعلومات التى يكتسبونها عن الاشياء من حولهم

1. **وجود المعلومات داخل المدركات** :

تتفق جيبسون وبياجيه في تصورهما للطفل على انه كائن حي نشط يسعى الى اكتشاف العالم من حوله . غير ان جيبسون تختلف عن بياجيه في تفسيرها للكيفية التي يدرك بها او يكشف بها الطفل هدا العالم . يرى بياجيه ان الطفل يكون معارفه عن البيئة من خلال مفهوم الأسكيماتا . اما جيبسون تضع اهمية خاصة لعملية الادراك باعتبارها الطريق الرئيسي الموصل للمعرفة .

1. **اهمية الصدق البيئى :**

تعد نظرية جيبسون من اهم نظريات علم النفس التى تؤكد اهمية الواقع الادراكي للانسان ، فالانسان لايدرك اي منبهات تقع حوله وانما يدرك فقط المنبهات التى يحتاج اليها في تكيفة مع البيئة التى يعيش فيها . من ثم فأن ادراك الفرد للمنبهات \_في رأي جيبسون\_ لايتوقف عند مستوى الاحساس بالصوت أو الضوء الصادر عنها بل يتعدى دلك الى ادراك العلاقات المعقدة القائمة بين الأشياء .

1. **أولوية التعلم الادراكي كشرط لحدوث ارتقاء الادراك :**

ترى جيبسون ان ارتقاء الادراك عند الطفل يتضمن تعلم الطفل كيف يدرك للاشياء من حوله . تتحسن قدرة الطفل على الادراك كلما استطاع الطفل أن يبحث ويكشف ويقارن ويستلخص الابعاد المشتركة بين المنبهات المدركة .

**خصائص النمو في نظرية جيبسون :**

ترى جيبسون ان عمليات الارتقاء عموما وعمليات ارتقاء الادراك بوجه خاص تتسم بثلاث خصائص رئيسية تحدد مسار واتجاه الارتقاء . هده الخصائص هى :

* **تمايز عمليات الادراك :**

تؤكد جيبسون وجود علاقة وثيقة بين مايدركه الطفل من المنبهات المحيط به وبين نوع المعلومات التى تحملها هده المنبهات . فالطفل الدي يبلغ من العمر 3 سنوات لايستطيع ان يميز بين انواع الاسماك المختلفة بينما يستطيع الطفل الاكبر ان يميز بين هده الانواع . ومع زيادة عمر الطفل يمكنه ان يستخلص من المنبهات التى تحيط به خصائص اكثر تحديدا ومعلومات اكثر دقه وتفصيلا .. ويتفق دلك مع احد قوانين النمو والارتقاء وهي ان اتجاه الارتقاء يسير دائما من العام الى الخاص او من اللاتمايز الى التمايز .

* **مدى كفاءة الانتباه :**

ترى جيبسون ان عمليه الانتباه والادراك عند الطفل تسير دائما وفق قانون الكفاءة والتميز . فمع تقدم عمر الطفل يحدث مزيد من الانتقاء والتنظيم في عمليات الانتباه والادراك فيكون الادراك جامعا مانعا حيث ينتبه الطفل الى الخصائص الهامة والضرةرية للاشياء من حوله ويترك ماهو غير ضروري ودلك حسب السياق الدي يوجد فيه . تؤكد جيبسون في هدا المنحني اهميه عمليه الانتباه بالنسبة لارتقاء عمليات الادراك وان ميكانزمات الانتباه عند الطفل تختلف باختلاف الموقف والسياق الدي يحيط به ، فانتباه الطفل للسيارات في الطريق عند العبور يختلف عن كيفية انتباهه عند شرائه نوعا معينا من الحلوى . ان هناك تفاعلآ متبادلآ بين نوع المعلومات التى يريد ان ينتبه لها الطفل وبين الطريقة التى سينتبه بها ونوع المهمة او العمل الدي يؤديه .

* **الاقتصاد في الوقت حسب المعلومات المطلوبة :**

يبدأ الطفل في تعلم كيفية الاقتصاد في الوقت عند اكتساب المعلومات المطلوبة بحيث تصبح هده العملية اكثر كفاءة ودقة مع زيادة العمر . ويتحقق مبدأ الاقتصاد في الوقت من خلال استخلاص الخصائص المميزة للشي المدرك والدي يميزه عن باقي الاشياء الأخرى ، كدلك يتحقق من خلال استخلاص الطفل للعلاقات القائمة بين الاشياء والتى تتميز بالثبات عبر الزمن . فمثلآ ثبات ادراك الطفل لصورة الأم لابد وان يتم عبر مجموعة من الخصائص الثابتة والتى لا تتغير هيئتها او مظهرها الخارجي . ان ثبات عمليات الادراك في رأي جيبسون تأتي من خلال ادراكنا للوحدات الكبرى للشئ المدرك . فكل شئ في هدا العالم موجود داخل نسق وبناء منظم ومحكم . وفهمنا لهدا البناء والنسق يكون محكومآ دائمآ بفهمنا للعلاقات والقواعد التى تحكم هدا البناء ، فمثلآ الكلمات التى نقرؤها تمثل نوعا من البناء حيث تتكون من مجموعة من الحروف وهناك قواعد معينة تنظم هده الحروف لكي تكون الكلمات . واستخلاص القواعد والنظم التى تحكم بناء الكلمات والجمل عند القراءة هى التى تميز بين قارئ ماهر وقارئ غير ماهر حسب نظرية جيبسون.

**ميكانزمات الارتقاء:**

ترى جيبسون ان هناك ثلاث ميكانزمات تساعد الطفل على الارتقاء والتى من شأنها ان تحدث نوعا من التغير في عمليات التعلم الادراكي للطفل . هده الميكانزمات هي :

* **التجريد**

تعرف جيبسون عمليات التجريد بأنها قدره الطفل على استخلاص الملامح المميزة للاشياء المدركة مع ادراك العلاقات الثابتة بين هده الاشياء ، ودلك للوصول الى المستويات العليا للبناء الدي تنتظم فيه الاشياء . من هده الخصائص والابعاد مثلآ ادراك الطفل للون، الحجم ، الطول، الوزن، الاتجاهات .

* **التنقية**

تعد عملية الانتقاء هى الوجه الآخر لعملية التجريد . فلكي يحدث التجريد بصورة فعالة ودقيقة يجب على الطفل ان يستبعد كثيرا من الخصائص غير الهامة للمنبه او الموقف المدرك بحيث يمكنه الانتباه الى الخصائص الهامة فقط .

* **الانتباه الهامشي**

بينما تعتبر عمليات التجريد والانتقاء عمليات داخلية ، فان الانباه الهامشي يشير الى السلوك الخارجي الدي يصدر عن الطفل لكي يمكنه ادراك هدا المنبه . من امثلة دلك مثلآ تحريك الراس تجاه مصدر الصوت ، وضع انفه قريبا من الطعام ليشم رائحته ..

وعلى الرغم من اعتقاد جيبسون بأهمية عوامل النضج العصبي والفسيولوجي الخاص بارتقاء عمليات الادراك عند الطفل ، مع دلك فانها تؤكد ان خبرة الطفل بالمنبهات والاشياء الموجودة في الواقع الخارجي هي التى تحدد له نوع المعلومات المطلوب ادراكها ، كما ان الدوافع الداخلية للطفل هي التى تجعله دائما في حالة نشاط دائم لاكتشاف البيئة من حوله .

**موقف نظرية جيبسون من قضايا النمو والارتقاء :**

1. **دو ر الوراثة والبيئة**:

لم تعط جيبسون وزنآ نسبيآ هامآ لدور الوراثة والبيئة في بداية بلورتها لنظريتها في أواحر الستينات من القرن الماضي ، حيث رأت أن هناك توازنآ بين كل منهما . فالمعلومات التى يكتسبها الطفل من بيئته تعتمد على ما وهبته الطبيعة من امكانات من ناحية وبمدى ونوع الخبرات التى مر بها فى الحياة . من ناحية أخرى وعلى الرغم من اهتمام جيبسون مند البداية بوصف وتفسير كيف يتعلم الاطفال من خلال خبراتهم السابقة ، غير انها في الاونة الاخيرة بدأت تعطى دورآ أكثيرأهمية لما يرثه الطفل من والديه ، حيث تلعب المكونات الوراثية دورآ هامآ في تحديد وتشكيل مسار ارتقاء السلوك فيما بعد .

1. **هل الارتقاء كمي ام كيفى ؟**

تختلف نظرية جيبسون عن نظرية بياجيه في هده القضية ، حيث ترى جيبسون أن ارتقاء الادراك عند الطفل يسير بصوره تدريجية عبر العمر ولا يأخد شكل مراحل او طفرات كما يرى بياجيه ، مع دلك فان جيبسون لاتنكرتماما حقيقة التغير الكيفي حيث ترى ان استيراتيجيات الانتباه والادراك تختلف من عمر الى اخر ، فمثلا انتباه الطفل لأشيلء من حولة في السنوات الاولى من العمر قد يكون عشوائيآ وغير منتظم ، ومع زيادة خبرة الطفل بالآشياء المحيطة به تصبح استيراتيجيات الانتباه والادراك أكثر تنظيمآ ودقة .

1. **هل الطفل سلبي أم ايجابي ؟**

تتفق جيبسون مع بياجيه في ان الطفل نشط بطبيعته حيث يولد ولدية استعداد طبيعي لاكتشاف البيئة من حوله . كدلك تتفق جيبسون مع بياجيه في أن الطفل لديه قوة هائلة ليتعلم من خلال خبراته ودلك من اجل تحقي التوافق والتكيف مع الحياة .مع دلك تختلف جيبسون عن بياجيه في تفسير الطريقة التى يستخلص بها الطفل معلوماته . فبينما ترى جيبسون ان الموجودات والاشياء في العالم الخارجي يجمعها نسق عام ونظام معيت ؟ وان هدا الدي يحدد للطفلنوع المعلومات التى يدركها ويتعلمها ، فان بياجيه يرى ان هدا النسق والنظام يستدل عليه الطفل من خلال التفاعل القائم بينه وبين الاشياء الموجوده في العالم المحيط به .

**التطبيقات :**

اوضح كتاب جيبسون ان التعلم الادراكي للحروف علاوة عمل توافقات بين الحروف والاصوات ، ومعرفة تراكيب الجمل تعد ضرورية لتعلم القراءة . وبالاضافة الى دلك تؤكد نظريتها ان الاطفال يمكنهم \_الى قدر كبير\_ تعليم انفسهم فيما يتعلق بالعالم . يمكن ان يقدم المعلم للأطفال في مرحلة الروضة اشياء واسطحآ مختلفة ويسمح للأطفال بالتعلم من خلال التنقل حول العالم واكتشاف الأشياء . ومن الضروري بالنسية للأطفال ان يتعرفوا على مزيد من الاشياء حول الأشياء والأحداث وان يكونوا مؤهلين للأتصال بالأشياء بشكل أفضل .

**تقييم النظرية :**

تعد نظرية جبسون اشهر النظريات التي تناولت النمو الادراكي . وقد اشتملت على مزيد من البحوث وخاصة فيما يتعلق بقدرات الاطفال الصغار الادراكية. ويتركز التقييم على اسهام النظرية في توجيه البحث في مجال الادراك والنمو بصفة عامة وربط الادراك بباقي جوانب النمو . وتتمثل النقاط الايجابية في تركيز النظرية على الموقف البيئي للأدراك والعودة الى مجال علم نفس النمو . اما عنصر الضعف فيتمثل في عدم وضوح الدليل بخصوص "المعرفة".

**المصادر :**

* علوان ، فادية علوان ،( 2003) : **مقدمة في علم النفس الارتقائي** ، القاهرة .
* ميللر ، برتيشا ،(2011 ): **نظريات علم النفس** ،ترجمة ، سامح وديع الخفش وأخرون ، الطبعه الاولى.